١

المتغيرات الحياتية المعاصرة من منظور القرآن الكريم: بين الطموح والواقع مجتمع المدينة نموذجا

Contemporary life variables in the Holy Qur'an perspective: Between ambition and reality, Madina community as a model.

إعداد

الأستاذ الدكتور: علي جمعه علي الرواحنه

كلية الإمام مالك للشريعة والقانون- دبي

Prof. Ali Jumea Alrawahneh

Imam malik colloge for shario &law

Dali_r2005@yahoo.com

الملخص

بينت الدراسة أن المتغيرات الحياتية رصدها القرآن الكريم والسنة النبوية ولا بد من تلمسها بتلك النصوص، لأن التغيير بصورة عامة متوقف على مقدمات، وحسب هذه المقدمات تكون النتائج.

اقر القرآن الكريم حقيقة المتغيرات الاجتماعية، وليست القضية أن تغير بقدر معرفة ماذا تغير، ولماذا تغير، لأنه إذا لم يكن متأهلا لذلك التغيير قد تفسد ولا تصلح، وقد نقد القرآن هذه التوجهات غير المستندة الى مرتكزات تصوب الطريق وتسدده بما يعود على المجتمعات بالاستقرار والاسعاد.

كما بينت الدراسة كيف نهج النبي ﷺ في تغيير مجتمع المدينة، وذلك بتلمس حاجة المجتمع من مجالات تستدعي التغيير، وما هي الاشكاليات الضاغطة على استقرار التجمعات البشرية والتي تستدعي العمل على تفريغها، حتى تستقيم الطريق في التغيير الإيجابي، وكيف يمكن ان نعكس التوجيهات النبوية على واقعنا المعاصر بالإصلاح والاستقرار المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: شريعة، المتغيرات الحياتية، المعاصرة، مجتمع المدينة.

Abstract

The study showed that life variables were observed by the Holy Qur'an and Sunnah, and they must be known by those texts, since variable in general depends on preliminaries, and according to these preliminaries, there will be the results.

The Holy Qur'an acknowledged the reality of social variables, the issue is not changing as much as knowing what are you going to change? And why are we doing the changes? If it is not qualified for that change, it may be corrupted and not fit. The Holy Qur'an criticized those trends that were not based on foundations which correct and predominate the route in a way that brings stability and happiness to societies.

The study also showed the way which the Prophet (PBUH) approached to change the society of Madina, by knowing the needs of the society that require to change, and what were the compressed problems on the stability of human gatherings which require work to remove them in order to straighten the path to positive change, and how we can reflect the prophetic directives on our contemporary reality through reform and social stability.

Key words: Sharia, life variables, contemporary, Madina community.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا فيه، حمدا يوازي نعمه التي لا تعد وفضله الذي ليس له حد، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين، سيد الخلق والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، الهادي البشير، وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

المتغيرات الحياتية مصاحبة للإنسان منذ بدء الخليقة وهي بين مد وجز، بين تأثر او تأثير، تطور او تدهور، ونجد ان واقعنا المعاصر يشهد سرعة وتسارعا في التحولات المجتمعية ما بين النهوض او الإرهاق النهضوي او الفشل في النهضوي، على ضوء ذلك لا بد من تلمس معطيات النهوض المجتمعي في المدينة ومعطيات محاولات النهوض المعاصرة.

تشهد المجتمعات المعاصرة الرغبة الجامحة في النهوض الحضاري، لكن هذه الرغبة ممزقة بين الطموح والتحديات التي تعصف بمقدرات الأمم واماالها، فمن هنا تحتاج الكتل البشرية التي تسعى نحو النماء والتطور الى معايير الطرح الإيجابي في التوجه والتفكير، وكذلك الضوابط والمبادئ المنشئة للثقافة المشتركة في الاندفاع نحو الابداع المجتمعي بمهنية إبداعية وحرفية في النهج والمنهج.

أهمية الدراسة:

تتناول الدراسة نقد المتغيرات في واقعنا المعاصر، وإمكانية تطويرها بما ينهض بواقعها، ويحقق الطموح والآمال التي يسعى اليها تلك المجتمعات، من منظور القرآن الكريم وبيان المبادي التي انطلق منها النبي ﷺ في تغيير مجتمع المدينة المنورة.

اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى تحقيق الأهداف الآتية:-

بيان طبيعة المتغيرات في المجتمعات العربية من منظور القرآن الكريم.

بيان معطيات التغيير النبوي لمجمع المدينة والنهوض بها.

مشكلة الدراسة:

لقد اشار القرآن الكريم الى مبادئ التغيير البشري للمجتمعات وجاءت السنة النبوية بالتطبيقات الناهضة الى الرقي المجتمعي في التكوين النوعي والبناء المتسارع للإنسان والبنيان المثالي، مما أثمر مجتمعا مثاليا:-

هل يمكن استئناف هذه المثالية في واقع الحياة؟.

هل كانت هناك تحديات سعت لإعاقة ذلك التقدم؟.

هذه الإشكاليات نثيرها بين يدي الدراسة حتى تجيب عليها، في ثنايا الدراسة ومن خلال الخطة الأولية الآتية:

المبحث الأول: طبيعة المتغيرات الحياتية المعاصرة من منظور القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم التغيير.

المطلب الثاني: طبيعة المتغيرات الحياتية المعاصرة.

المطلب الثالث: أنواع التغيير.

المبحث الثاني: مرتكزات المتغيرات الحياتية.

المبحث الثالث: منهجية النبي ﷺ في المتغيرات الحياتية في المدينة المنورة.

المبحث الرابع: عقبات المتغيرات الحياتية.

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
طبيعة المتغيرات الحياتية المعاصرة من منظور القرآن الكريم

تشهد المجتمعات العربية والإسلامية اليوم حالة من المتغيرات الحياتية، بين نماذج نجاح او اخفاق، وان هذه المتغيرات تراوح بين الواقع والطموح، وما تسعى له الكتل البشرية من تحقيق مستوى أفضل على مستوى منعطفات الحياة، لقد أشار القرآن الكريم الى سنن التغيير الاجتماعي ومبادئ ذلك التغيير، وما إمكانية الاستفادة من هذه المعطيات في واقعنا للتطوير المجتمعي الى افاق أرحب، مما يستدعي تناول معنى التغيير والآيات القرآنية التي تحدثت عن التغيير.

المطلب الأول: مفهوم التغيير

لقد أشار القرآن الكريم الى ان التغيير المجتمعي قد يتغير المجتمع او يتحول من الحياة الحسنة إلى نقد العيش، أو ان ينهض من وهن الحياة الى رفعتها وتقدمها وأرغدها واسعدها، فمن حيث المبدأ اقر القرآن الكريم حقيقة المتغيرات الاجتماعية، ولكن طبيعة هذا التغيير رصدها قوله تعالى:{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[1]، فالتغيير بصورة عامة متوقف على مقدمات، وحسب المقدمات تكون النتائج.

تعريف المتغيرات، حالة تعتري المجتمعات عندما تشعر بمهددات وجودها او تعصف بمقدراتها، تندفع الكتل البشرية باحثة عن مخرج، لذا من الواجبات السياسية، تفقد واقع المجتمعي بما يحفظ معطيات استقرارها.

التغيير: هو تغير الشيء عن حاله تحول، ونقول غيره: اذا حوله وبدله على غير ما كان، ومنه قولك غيرت الشيء فتغير[2]، وهو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى[3]، او إحداث شيء لم يكن قبله[4]، وهو ملاحظة التغير في سلوك معين في إطار عملية الإرشاد[5].

---

(١) (١١) سورة الرعد.

(٢) محمد بن مكرم بن على بن منظور، لسان العرب، ٥/ ٤٠، الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ، دار صادر-بيروت، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٣٣٢٦، دار الهداية.

(٣) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص١٠٣، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة.

(٤) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: ٦٣، الطبعة الأولى:١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

(٥) حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، ص: ١٩٠، الطبعة الثالثة، عالم الكتب.

قال الراغب: التغيير يقال على وجهين:

أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته، فيقال: غيرت داري: إذا بنيتها بناء غير الذي كان.

الثاني: لتبديله بغيره، نحو: غيرت غلامي ودابتي إذا أبدلتهما بغيرهما، أي صفة الغلام أو الدابة[1].

مما يقدم يمكن تعريف المتغيرات الحياتية اصطلاحا: انتقال المجتمع من حالته التي كان عليها الى غيرها تطورا نحو حياة أفضل، او اخفاقا.

المطلب الثاني: طبيعة المتغيرات الحياتية المعاصرة

التَّغييرات الاجتماعية علامة مهمة من ملامح الحياة وعنصر أساسي لديمومتها، وهو سنة كونية تخضع لها كل المخلوقات، والسمة الإنسانية المميزة لهذه البشرية هي البحث عن التكامل والتغير نحو الأحسن، والتغيرات التي تحدث للإنسان في شخصيته، هي التي تدفعه إلى السعي المستمر والحركة الدؤوبة نحو حياة أفضل، ولكننا لسنا جميعاً متشابهين في نظرتنا للتغيرات التي نمر بها، وردود أفعالنا تجاهها، فلكل منا أسلوبه في التعامل مع متغيرات هذه الحياة، وتختلف مواقفنا في تقبلها والتفاعل معها، ولكننا جميعا مطالبون بإيجاد صيغة مناسبة لفهمها والتعامل معها، لنستطيع تحقيق الاستقرار والأمان النفسي والعاطفي والاجتماعي والمادي الذي يحلم به كل إنسان.

التغيير سنة ثابتة من السنن الإلهية تفرض نفسها على حياة الإنسان، ولأنه كائن قادر على التكيف مع المتغيرات بإحساسه العقلاني، يختار السلوك الصادر عنه من خلال وعيه وتفكيره، وتختلف استجابة إنسان عن آخر تجاه المتغيرات التي يعيشها حسب طبيعته ونظرته لها، وبقدر تفاعل الإنسان مع التطورات الطبيعية التي يمر بها، وما يتمتع به من مرونة وقدرة على التأقلم معها، تصبح حياته أكثر توازناً واستقراراً، ويجني السعادة مما تمنحه له الحياة في دورتها الطبيعية[2].

المطلب الثالث: أنواع التغيير

تتنوع المتغيرات الحياتية من نوع الى آخر وذلك حسب طبيعة ذلك التغيير او حسب نتيجته، او حسب مقدماته، ومن هذه الأنواع: -

أولا: التغير في مراحل نمو الانسان، يحدث للإنسان من حين بلوغه إلى آخر عمره من التغير، والانتقال من حال إلى حال من غير صنع له فيه، ولا اختيار منه له، فيكون حدثا شابا ثم كهلا ثم شيخا، وما ينقلب فيه فيما بين ذلك من مرض وصحة وفقر وغناء وفرح وحزن[3]، قد يكون له فيه يد.

ثانيا: المتغيرات الحياتية السلبية: كون التغير هو تحول من حال إلى حال حيث تتبدل الحياة الرغيدة الى سيئة، حيث قال تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦١٩، دار القلم- دمشق، المحقق: صفوان عدنان الداودي.

(٢) https://www.alkhaleej.

(٣) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، ٣/ ٤٩٠، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية بيروت، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين.

اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1]، لقد أشار النص الى تحول ذلك المجتمع من حال النعمة التي كان عليها إلى حال سيئة قد حالت به جراء افعاله السيئة، وإن عدم تغييره ﷻ للنعمة مُغَيّا بغاية، تلك الغاية هي أن يغيروا ما بأنفسهم، فإذا غَيَّرُوا ما بأنفسهم بأن ارتكبوا سوءاً يَسْتَوْجِبُ العَذَاب والغضب غير ﷻ النعم بسبب تغييرهم إياهم[2].

ثالثا: المتغيرات الحياتية الايجابية: يقابل المتغيرات الحياتية السلبية متغيرات حياتية ايجابية، حيث قال تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}[3]، ولو أنهم عادوا إلى شكر الله وعبادته؛ لأعاد لهم الله نعَم الأمن والاستقرار والحياة الطيبة، ويلفتنا المولى ﷻ إلى أن اتباع المنهج الرباني في التعامل مع معطيات الحياة بما يزيد النعم ولا ينقصها[4] لأدى بهم الى الحياة الطيبة، حيث قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[5]، معيار المتغيرات الحياتية في مجالها الإيجابي.

رابعا: المتغيرات الحياتية الكسبية: إن الله لا يغير ما بقوم من نعمة انعمها عليهم، او عافية فيزيلها عنهم، إلا بتغيير ما بأنفسهم، بأن يكون منهم الظلم والمعاصي والفساد، وارتكاب الشرور والآثام التي تهدم بنية المجتمع وتدمر كيان الأمم[6]، حيث قال تعالى:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[7].

تذكير بأن ما حل بالأمم الماضية من المصائب ما كان إلا بما كسبت أيديهم، أي بأعمالهم، فيوشك أن يحل مثل ما حل بهم بالمخاطبين الذين كسبت أيديهم مثل ما كسبت أيدي أولئك[8].

خامسا: التغير استجابة للمؤثرات: قد يكون التغير استجابة لمؤثر من المؤثرات، كتغير حالة الانسان بحالة الطقس من الحرارة والبرودة او من صيف لشتاء، او المؤثرات الطارئة كالغضب، او الخوف، او الفرح، والحزن، وغيرها، فهي حالات اضطراب وتغير في الكائن الحي، استجابة لمؤثر معين تميز بمشاعر قوية، واندفاع نحو سلوك ذا شكل معين، ويصاحب هذه الانفعالات، ثلاثة أنواع من التغيرات:

١- مشاعر داخلية وجدانية لا يدركها إلا الشخص نفسه، كشعور الغضبان بالضيق، وانتقاص الذات أو الإهانة.

٢- تغير في أجهزة الجسم الداخلية، كما يبدو على

(١) (٥٣)سورة الأنفال.
(٢) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، العذب النمير، ٥/ ١٢٢، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المحقق: خالد بن عثمان السبت.
(٣) (٩٦) سورة الأعراف .
(٤) محمد متولي الشعراوي, تفسير الشعراوي, ٨/ ٤٧٥٩، مطابع أخبار اليوم.
(٥) (٩٧) سورة النحل.
(٦) () وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير (١٣/ ١٢٤)، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر- دمشق.
(٧) (٤١) سورة الروم.
(٨) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢١/ ١٠٩)، الدار التونسية للنشر- تونس، نشرة ١٩٨٤هـ.

الغضبان من اضطراب في الجهاز التنفسي، وسرعة خفقان القلب، وازدياد إفرازات الغدد الصماء، وارتفاع ضغط الدم ... الخ.

٣- تغيرات جسمية خارجية، فالمغضب مثلاً يقطب جبينه، وتتقلص عضلات وجهه، وتظهر عليه حركات وإيماءات غير طبيعية[١]، حيث قال تعالى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}[٢].

تقرر لنا الآيات الناموس الإلهي الاجتماعي، بتقلّب البشر بين النعم والنقم، والصلاح والفساد، لما تحتويه من تلقين جيل مستمر المدى حيث قصدت تقرير كون النعم والنقم والخيرات والويلات لا تأتي على الناس عفوا، وإنما هي منوطة بسلوكهم وسيرتهم، وأن الناس يتحملون مسؤولية كسبهم بقابليتهم لتغيير ما في أنفسهم بإرادتهم، مما هو متّسق مع التقريرات القرآنية[٣].

المبحث الثاني
مرتكزات المتغيرات الحياتية

المتغيرات الحياتية الانسان فاعل فيها وهو المحرك لها في جميع اتجاهاتها، وعلى من تصدر داعية للتغيير اذا لم يكن متأهلا لذلك قد يفسد ولا يصلح، وقد نقد القرآن هذه التوجهات غير المستند الى مرتكزات تصوب الطريق، حيث قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}[٤]، قرر القرآن ان الانسان بصورة عامة قد يفسد وهو يظن انه يحسن، فلا بد من مراعاة ذلك، لذا قال عمر ﷺ:« تفقهوا قبل أن تسودوا»[٥]، أرشد قول عمر ﷺ إلى التفقه في مجالات العمل المتنوعة، وبالأخص منها ما يعني المجتمع بصورة عامة قبل مباشرته.

قال الراغب: تنبيهًا أنكم لا تصلحون للسيادة قبل معرفة الفقه، والسياسة العامة، ولأن السائس يجري من المسوس مجرى ذي الظل من الظل، ومن المحال أن يستوي الظل وذو الظل أعوج، ولاستحالة أن يهتدي المسوس مع كون السائس ضالاً[٦]، ومن هنا نشير الى هذه المرتكزات الضابطة لحركة المجتمعات التغييرية:-

أولاً: النظر الى مآلات الأفعال والتصرفات التغييرية، ليست القضية أن تغير بقدر معرفة ماذا تغير، ولماذا تغير، فلا بد من التفقه قبل التصدر لتبني

(١) عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ٣٠٨/١، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٢) (٥٨) سورة النحل.

(٣) () محمد عزت دروزة، التفسير الحديث ٥٢٥/٥، الطبعة:١٣٨٣هـ،دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

(٤) (١١-١٢) سورة البقرة.

(٥) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، ١/ ٧٧، باب الفهم في العلم، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

(٦) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص: ٨٤، عام النشر: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، دار السلام- القاهرة.

المطالب العامة لأنه نوع من السيادة الاجتماعية، ولذا من المنطق بمكان أن ينهج طالب الصدارة بالتوسع في المعارف قبل طلب السيادة والمناصب[1]، لأنها تستدعي الوعي الإداري لديهم قبل طلبها وإلا افسدوا.

قال ابن المنيّر: مطابقة قول عمر رضي الله عنه، للترجمة أنه جعل السيادة من ثمرات العلم، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة، وذلك يحقق استحقاق العلم بأن يغبط صاحبه، فإنه سبب لسيادته[2]، وقد حذر القرآن من تبني منهجية التغيير على غير علم، لأن النتيجة وخيمة حسب ما وصفها القرآن، حيث قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ}[3].

ثانيا: الوعي المنهجي للتغيير، حتى تغير لا بد من أن يتمتع الفرد الإصلاحي بالوعي المنهجي لتحركاته، بحيث لا تكون تصرفاته عشوائية أو رادات افعال، قال تعالى:{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ*إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ*لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ}[4]، أشار النص إلى قضايا كثيرة تحتم على المسلم وضوح الطريق، ومن الوعي بحيث لا تمرر عليه أجندات تحت شعارات براقة فلا تذهب بكم المذاهب، لكن لديك من الرصيد القرآني الذي يبصرك المنهج، بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير[5].

ثالثا: استشعار المسؤولية الشخصية والعامة في نهضة المجتمع، إن استشعار المسؤولية من عوامل السعي الهادف إلى تحقيق الأهداف وتقدم المجتمعات، حيث قال تعالى:{وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا}[6]، وقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[7]، فإن تقرير المسؤولية الفردية مهم لأنها هي التي تقوم على ما منح الله الإنسان من القدرة على الفعل والترك، والتقدم والتأخر والاختيار لما يعمل من خير أو شر، فالنذارة كذلك لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة، أو يتأخر إلى الشر والمعصية[8].

رابعا: مرحلية المتغيرات الحياتية، لان البناء التغييري له مراحل لا بد من استيفائها، تبنت الشرعية الإسلامية منهجية المرحلية والتدرج في مجالات البناء والتطوير سواء على مستوى الإنسان أو على المستوى العمراني سواء أكان في البنيان التنظيمي أم في البناء الاجتماعي، لأن ذلك ضمن مرحلية تقتضيها إذا

(١) أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٣/ ٤٧٥، عالم الكتب.
(٢) أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢/ ٥٤، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
(٣) (٢١)سورة النور.
(٤) (٢٨)سورة التكوير.
(٥) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥/ ٢٩١، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت، المحقق: محمد المرعشلي.
(٦) (٥٦) سورة الأعراف.
(٧) البخاري، الجامع المسند الصحيح، ١٣/ ١٥٨، باب المرأة راعية في بيت زوجها.
(٨) محمد رأفت سعيد، تاريخ نزول القرآن، ص: ١١١، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، دار الوفاء- المنصورة.

تكاملت أركانها وشروطها، حيث قال تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}(١)، نهي للرسولﷺ عن أن يستخفه الذين لا يوقنون.

خامسا: واقعية القدرة على المتغيرات الحياتية والممنهجة، لا بد أن تعيش الواقع حتى تؤثر فيه، فلا يكون الطرح تنظيرياً غير واقعي، وتنعدم القدرة على ترجمته على أرض الواقع، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(٢)، فقد حدد النص أسلوباً حصرياً للعمل، وهو أن يؤدي إلى الرحمة مهما كانت الوسائل والمجالات.

سادسا: الملاحظة الأولية للمستحق التغيير، من فقه الحياة بداية أن تعرف السليبات وتبادر الى تغيرها على مستوى الفرد ام المجموعات، وهذه سنة ربانية فإن الله ﷻ لم يغير الاحوال حتى يطرأ ما يستدعي التغيير، قال تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ}(٣).

وقد أشار عمر بن الخطاب ﷺ إلى هذا المسلك وان له خطورة بما يستدعيه انعدام التوازن التغييري، حيث: كتب إلى الناس عليكم أنفسكم ومن استوجب التغيير فغيروا عليه ولا تعيروا أحدا فيفشو فيكم البلاء(٤).

المبحث الثالث
منهجية النبي ﷺ في المتغيرات الحياتية في المدينة المنورة

نهج النبي ﷺ في تغيير مجتمع المدينة بتلمس حاجة المجتمع من مجالات التغيير، وما هي العناصر الضاغطة على التجمعات البشرية والتي تستدعي العمل على تفريغها، حتى تستقيم الطريق في التغيير الايجابي، وليست القضية مطالبة بلا وعي، ومن أهم جوانب المتغيرات الحياتية، ما يأتي:

أولا: إدارة الدمج الاجتماعي، إن عملية الدمج الاجتماعي ضرورة حتمية لعملية التحول الاجتماعي ضمن منهجية التغيير، وعملية الدمج الاجتماعي إما أن تتكون عشوائية أو منتظمة، والدمج الاجتماعي المنتظم لا يتكون إلا بنسق إداري متميز وفعال وايجابي، حتى نصل إلى النتيجة التي ذكرها السياق القرآني، حيث قال تعالى:{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٥).

قال ابن كثير: وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن ومحن وأحقاد وعداوات، طال بسببها قتالهم، والوقائع بينهم، فلما وصل النبي المدينة كان من باكورة اعماله المؤاخاة بين الاوس والخزرج والمهاجرين، كون المجتمع انا ذاك

(١) (١٠٧) سورة الأنبياء.
(٢) (٥٣)سورة الأنفال.
(٣) (٥٣)سورة الأنفال.
(٤) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ٢/ ٥٠٨، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، دار الكتب العلمية- بيروت.
(٥) ٦٣)سورة الأنفال .

يعاني من المشكلة الاجتماعية، فعالجها ﷺ بالمؤاخاة، حتى صاروا إخوانا متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى[1].

ثانيا: ادارة معوقات الدمج الاجتماعي والتغلب عليها وتصويبها في الاتجاه الصحيح، تواجه عملية التحويل الاجتماعي رواسب اجتماعية ترفض التغيير إما لعدم الثقة بمرحلية التغيير أو التأثر بموروث ثقافي متجذر في النفوس، وقد أشار القرآن إلى تلك المعوقات، قال تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}[2] لا بد من إدارة واعية لمعطيات تلك المعوقات، لأن الخطأ الإداري ينعكس سلبيا على تقدم تلك المرحلة.

ثالثا: المحافظة على الإنجازات وتعزيزها: من الابجدي المحافظة على القيم المجتمعية لضمان استمرارية النجاح، حيث قال تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[3]، لقد أرسل الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ والعرب في خصام وتنافر، وتقاطع وتدابر، القلوب ملؤها الأضغان والأحقاد، والحروب بينهم متصلة، ونيرانها مشتعلة، يعبدون الأوثان، ويقترفون الآثام، ويظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق، فأمر الله رسوله أن يؤلف بين القلوب، ويسلك بهم طريق التآلف والوئام، ولما كانت هذه الطريق غير كافية لانتظام شمل المسلمين، وتوحيد كلمتهم[4].

رابعا: إدارة حركة المال، المال عصب حياة الدولة وعنوان أساسي في نهضتها، كانت المدينة تعيش حالة من انعدام التوازن المالي، حيث ان الإدارة المالية كانت بيد اليهود، فسال ﷺ عن السوق قالوا ﷺ السوق في حي اليهود، فشكل لجنة لترشيح مكان للتبادلات المالية، وبذلك تحقق الرشد الإدارية للتعاملات المالية، دون ان يثير ازمة مالية مع السوق القديم حتى انساب منه النشاط الاقتصادي الى سوق المدينة، وبذلك تحرر الاقتصاد بإيجاد البديل المناسب.

خامسا: تنظيم العلاقة بين فئات المجتمع كمسلمين وغيرهم، من الملاحظات على مجتمع المدينة كانت بينهم هذه الفرقة المجتمعية، فنظم هذه العلاقة من خلال وثيقة المدينة بين المسلمين وغيرهم.

المبحث الرابع: عقبات المتغيرات الحياتية.

عملية التغير المجتمعي النهضوي، قد يواجه بعض المعوقات، التي تعترض عملية النهوض الحضاري، والتي قد تشوه او تمنع إحداث التغيير، لأن التغيير حالة كلية شاملة تكتنزها الكثير من العوامل المادية

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٧٧، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، المحقق: محمد حسين شمس الدين.
(٢) (١٧٠)سورة البقرة .
(٣) (١٠٣)سورة آل عمران .
(٤) محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب،٣/٢٨٣٣، الناشر: بيت الأفكار الدولية.

والمعنوية المنتجة لها، وقد اعتمد القرآن أساس التغيير التوجه والاستعداد الذاتي للأفراد بصورتهم الجماعية وليست الفردية، أي يجب أن يعيش الفرد للجميع مع متابعة التنمية الفردية، لأن النمط التغييري قد يحتاج من الفرد سلوكه الفردي كفرد، وسلوكه الفردي ضمن المجموعة، وقد يرد منه السلوك للمجموعة دون الفرد.

ان المسؤولية المجتمعية نحو المتغيرات الحياتية لها ما لها وعليها ما عليها، في رصد معطيات اتجاه المتغيرات، حيث قال تعالى:{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[1]، أفادت هذه السنة الربانية في طبيعة المتغيرات ان تكون حسب المقدمات وهذه المقدمات لا بد من التشاركية في التوجه على مستوى الفرد فيما يمثل بفرديته وكذلك على مستواه الاجتماعي، ومن هنا تجدر الإشارة الى تلك المؤثرات المعيقة للمتغيرات الحياتية:

أولا: ترحيل الأزمة، إن من اخطر العوامل المؤثرة على المجتمع ترحيل الأزمة إلى الآخرين، حيث قال تعالى:{قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ}[2]، كشف السياق عن محاولة تصدير التقصير إلى غيرهم، فكيف يعترفون بمثل هذا الجرم؟

قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ}[3]، فأرادوا بيان الباعث لهم على إغواء إخوانهم وهو أنهم بثوا في عامة أتباعهم الغواية المستقرة في نفوسهم وظنوا أن ذلك الاعتراف يخفف عنهم من العذاب بقرينة قولهم إليك ما كانوا إيانا يعبدون[4].

ثانيا: عدم اكتشاف الخلل المجتمعي والاعتراف به لمعالجته، من أساسيات نجاح الدول قدرتها على اكتشاف الخطأ والاعتراف به حتى تتمكن من تجاوزه، ووضع اليد على الخلل ومعالجته، لأن بقاء الفساد والإشارة إليه على استحياء ترتفع به وتيرة المفسدين.

ثالثا: عدم وضوح المنهج وترتيب الأولويات، إن الجهد الكلي للمجتمع لا بد أن يكون عن تخطيط وقصد، ووضوح في الرؤيا، وليس تكوين المواقف مبنى على ردود الأفعال، ولذا نبّه ﷺ إلى وضوح السبيل، حيث قال تعالى:{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[5] أشار السياق إلى القدرة التخطيطية في ضوء وضوح المنهج وترتيب الأولويات، على بصيرة على مستوى الفرد والمجتمع.

رابعا: مجتمع اقوال لا أفعال، من الخلل المجتمعي ان يكون ديدن التنظير دون اعتماد منهجية التطبيق، يعد من الإشكاليات في المتغيرات الحياتية، تحول المجمع من مجتمع تطبيقي الى مجتمع تنظيري، ولذا

(١) (١١) سورة الرعد.
(٢) (٢٧)سورة ق.
(٣) (٦٣) سورة القصص.
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٥٨.
(٥) (١٠٨) سورة يوسف.

نقد القرآن هذه المنهجية، لذا قال الله تعالى:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}(١)، وكله ظاهر في المحافظة على مطابقة القول الفعل بالنسبة إليه وإلى قرابته، وأن الناس في أحكام الله سواء، والأدلة في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وقد ذم الشرع الفاعل بخلاف ما يقول(٢).

خامسا: ثقافة المعارضة لذات المعارضة، من أسوأ التوجهات هذه الطروحات هو الاستمرار في المعارضة، قد مثل السياق القرآني لهذه النوع من التوجهات في قصة قوم شعيب عليه السلام في قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}(٣)، آية، أنه ما يريد مجرد المخالفة كشأن المنتقدين المتقعرين ولكن يخالفهم لمقصد سامٍ وهو إرادة إصلاحهم(٤).

الخاتمة

تضمن الخاتمة اهم النتائج التي توصلت لها الدراسة:

اقر القرآن الكريم ان حقيقة المتغيرات الاجتماعية متوقفة على مقدمات، وحسب هذه المقدمات تكون النتائج،

انتقال المجتمع من حالته التي كان عليها الى غيرها تطورا نحو حياة أفضل، او اخفاقا، متوقفة على طبيعة تلك التصرفات.

التَّغييرات الاجتماعية علامة مهمة من ملامح الحياة وعنصر أساسي لديمومتها، وإن الله لا يغير ما بقوم من نعمة انعمها عليهم، او عافية فيزيلها عنهم، إلا بتغيير ما بأنفسهم.

قرر القرآن ان الانسان بصورة عامة قد يفسد وهو يظن انه يحسن، فلا بد من مراعاة ذلك.

ان المتصدرين للتغيير الحياتي لا بد له من أن يتمتع بالوعي المنهجي لتحركاته، بحيث لا تكون تصرفاته عشوائية أو رادات أفعال.

إن استشعار المسؤولية المجتمعية من عوامل السعي الهادف إلى تحقيق الأهداف وتقدم المجتمعات.

نهج النبي ﷺ في تغيير مجتمع المدينة بتلمس حاجته من مجالات التغيير، وما هي العناصر الضاغطة على التجمعات البشرية والتي تستدعي الى تفريغ، حتى يستقيم الطريق في التغيير، وليست القضية مطالبة بلا وعي.

---

(١) (سورة البقرة آية (٤٤).

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، ١٠/ ٣٩٧، الطبعة الأولى:١٤١٧هـ ١٩٩٧م، دار ابن عفان، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

(٣) (٨٨) سورة هود.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٢/ ١٤٥.

عملية التغير المجتمعي النهضوي، قد يواجه بعض المعوقات، التي قد تعترضه، والتي قد تشوه او تمنع إحداث التغيير، لأن التغيير حالة كلية شاملة تكتنزها الكثير من العوامل المادية والمعنوية المنتجة لها.

المراجع

زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، الطبعة الأولى:١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.

حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، الطبعة الثالثة، عالم الكتب.

أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم-دمشق، المحقق: صفوان عدنان الداودي.

.https://www.alkhaleej

أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية بيروت، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين.

محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، العذب النمير، الطبعة الثانية، ١٤٢٦ هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المحقق: خالد بن عثمان السبت.

محمد متولي الشعراوي, تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر- دمشق.

محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر- تونس، نشرة ١٩٨٤هـ.

عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

محمد عزت دروزة، التفسير الحديث، الطبعة:١٣٨٣هـ،دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، عام النشر: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، دار السلام- القاهرة.

أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.

أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت، المحقق: محمد المرعشلي.

محمد رأفت سعيد، تاريخ نزول القرآن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، دار الوفاء- المنصورة.

محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تاريخ الأمم والرسل والملوك، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، دار الكتب العلمية- بيروت.

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، الطبعة الأولى:١٤١٧هـ ١٩٩٧م، دار ابن عفان، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

محمد بن مكرم بن على بن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ، دار صادر-بيروت. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٣٣٢٦، دار الهداية.

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، باب الفهم في العلم، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، المحقق: محمد حسين شمس الدين.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، الناشر: بيت الأفكار الدولية.